



جاء في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَي نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ؛ فَقَالَ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ اذْرُونِي فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللَّهِ! لَئِن قَدَرْتُ عَلَي رَبِّي لَيُعَذِّبُنِي عَذَابًا مَا عَذَّبُهُ أَحَدًا».

فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ، فَقَالَ لِلْأَرْضِ: أَدِّي مَا أَخَذْتِ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَي مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: خَشِيْتُكَ، يَا رَبَّ - أَوْ قَالَ: مَخَافَتُكَ - فَغَضَرَ لَهُ بِذَلِكَ».

وربنا ﷺ أثنى على ذاته وبشر عباده بقوله ﷺ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ

رَحِيمٌ ﴿٧﴾ [النحل: ٧].

والرأفة: أشد الرحمة وأبلغها.

وهي خير من كل وجه، قال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ

﴿١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾

وربنا ﷺ الذي خلق الإنسان وحفظه ورحمه، وأحسن إليه، وسخر له الكون كله، ودفع السوء عنه، وجلب له الخيرات؛ فهذا من إحسانه وكرمه. بل من رأفته ﷺ: أنه يقبل طاعة الطائعين مهما صغرت، وأنه يحفظ

إيمان من آمن به فلا يضيعه، وهذا من رأفته ﷺ بأوليائه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

### □ أكمل الدلالات:

ومن جلال رأفته: أن حذر عباده ورغبتهم ورهبهم، ووعدهم وأوعدهم؛ رأفةً بهم، ومراعاةً لصلاحهم ومصالحهم، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

ومن دلائل رأفته: أنه أنزل الكتاب على رسوله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذنه، قال ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ يَبَيِّنُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ١٩].

ومن دلائل رأفته: أن سخر لنا وسائل النقل؛ كالخيل والبغال والحمير قديماً، والسيارات والطائرات والقطارات وغيرها حديثاً، فالله ﷻ قد قال: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّئِمَّ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِسِقِّ الْأُنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: IV].

ومن جلال رأفته: أن ما اشتراه من العباد من أنفسهم وأموالهم إنما هو خالص ملكه، ثم إنه ﷺ يشتري منهم ملكه الخالص بما لا يعد ولا يحصى، قال ﷺ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

ومن جلال رأفته: أنه يجيب دعاء أوليائه، قال ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

ومن جلال رأفته: أنه نصب الحدود الزاجرة عن الحدود الحاملة على التقوى، فإن الرأفة تقويم المرؤوف به؛ لأنها أطف الرحمة وأبلغها، قال ﷺ: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٠].

ومن دلائل رأفته: إمهاله للكافرين والعاصين من أن يأخذهم بالعذاب على غرة وهم لا يشعرون، بل يمهلهم، ويعافيهم، ويرزقهم، قال ﷺ: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ٤٧].

ومن دلائل رأفته: أنه يمسك ﴿السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [إن الله يَأْتِي النَّاسَ لِرَءُوفٌ رَحِيمٌ] [الحج: ٦٥].

□ رسالة إلى ..

إلى كل من أدركه الفقر، وتغشاه الكرب، وتغيرت ملامحه، وانكسر قلبه.

إلى من أثقله الدين، وحار فكره، وتشتت ذهنه، وظن أن الدنيا ضاقت عليه.

إلى من أهلكته الأوجاع، وأتعبته الآلام، وعجز الأطباء عنه، وأغلق الباب دونه.

إلى من حمل الهم، وغشيه الغم، وأدارت الدنيا ظهرها له؛ حتى ضاقت عليه بما رحبت.

إلى من غاب ابنه، وسافر حبيبه، وغادر صديقه؛ فضاقت نفسه، ورجف قلبه؛ فأصبح الورد شوكةً، والعالم الجميل كئيباً..

تَذَكَّرْ هُنَا قَوْلَهُ ﷺ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوْفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿النحل: ٧﴾، وردد:

﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ ﴿البقرة: ٢٠٧﴾، وناد: يا رؤوف! أرأف بحالي، وارحم ضعفي، وفرج همي، واكشف السوء عني.

قال ابن القيم: "والله ﷻ يبتلي عبده ليمسح شكواه وتضرعه ودعائه"،

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِّي وَحَزَنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

وهنا: انتظر الفرج؛ فالله ﷻ قال: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ

السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ



إنه الرؤوف الرحيم ﷺ، فما أعظم شأنه! وأعلى مكانه! وأقربه من خلقه! وألطفه بعباده!

فإذا رأيت الحبل يشتد؛ فاعلم أنه سينقطع، وإذا اشتد الظلام؛ فأبشر بصبح قريب.

لا تضق ذرعاً مع الرب الرؤوف الرحيم ﷺ، فمن المُحال دوام الحال، وأفضلُ العبادة: انتظارُ الفرج، والأيامُ دُولٌ، والدَّهرُ قلبٌ، والليالي حُبَالِي، والغيبُ مستور، والرؤوفُ قال: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿٢٩﴾ الرحمن: ٢٩، وقال ﷺ:

﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ ﴿١﴾ الطلاق: ١، والله ﷻ قال: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ﴿٦﴾ الشرح: ٥-٦.

### □ قلوب سجدت..

وقد وصف الله ﷻ رسوله ﷺ بهذا الوصف فقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٢٨﴾ التوبة: ١٢٨، أي: شديد الرأفة والرحمة بالمؤمنين، أرحم بهم من والديهم.

ولذا؛ كان حقه مقدماً على سائر حقوق الخلق، وواجباً على الأمة الإيمان به وتعظيمه وتوقيره وتعزيه.



يقوم النبي ﷺ الليل كله في آية: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ

فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المائدة: ١١٨)، فيخبره ربه ﷻ الرؤوف أننا سنرضيك في أمتك.

والمؤمن يراuf بنفسه فيسلك بها إلى مسالك النجاة، وبقائها موارد المهالك، وكذلك هو مع غيره.

قال ابن رجب ﷻ: "من جاد على عباد الله؛ جاد الله عليه بالعطاء والفضل، والجزاء من جنس العمل".

إِلَهِي! تَرَى حَالِي وَفَقْرِي وَفَاقَتِي

وَأَنْتَ مُنَاجَاتِي الْخَفِيَّةَ تَسْمَعُ

إِلَهِي! أَذِقْنِي طَعْمَ عَضُوكَ يَوْمَ لَا

بُنُورٌ وَلَا مَالٌ هُنَاكَ يَنْفَعُ

اللهم إنا نسألك يا رؤوف! أن تدخلنا جنتك، وتعيذنا من نارك.

